جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

دكتوراه اسلامي

المجابهة الاسلامية للحروب الصليبية

(الحملة الصليبية السادسة)

أ.د. حنان عبد الرحمن طه

الحملة الصليبية السادسة

تنفس المسلمون الصعداء بعد هزيمة الصليبيون في الحملة الصليبية ، الا ان هذا النصر كان يخفي من الخطر الكثير على بلاد المسلمين ليس من الصليبين لكن هذه المرة من عدو داخلي اذا ما دخل في اي بلد ينهكه ، وذلك هو الصراع الداخلي الذي نشب في الاسرة الايوبية وتحديداً بعد وفاة الملك العادل اذا، سرعان ما نشب الصراع بين الاخوين على زعامة مصر والشام ، وهما الملك المعظم عيسى والملك الكامل ابناء الملك العادل هذا الصراع كان ينشب احياناً وبتدخل من العلماء يخمد ذلك الصراع ولعل من ابرز هؤلاء العلماء هو سبط بن الجوزي صاحب كتاب (مرآة الزمان) حيث كان الوسيط للتقريب بين الاخوين وتوعيتهم بضرورة نبذ الخلاف والوقوف بوجه الصليبين.

لكن ما لبث النزاع ان تجدد بين الاخوين واستعد كل منهم للإطاحة بأخية من اجل زعامة الاسرة الأيوبية وكان الملك الكامل شخصية انتهازية على استعداد لسلك كل الطرق حتى لو تطلب الامر الاستعانة بالصليبين وهو ما حصل اذا سرعان ما استنجد بالإمبراطور فردريك الثاني الذي كانت تربطه علاقة صداقة بينهما وقد وافت الفرصة فردريك خاصة وانه كان على خلاف مع البابا الذي كان يدعو الى حملة صليبية لأستعادة بيت المقدس حتى وصل الامر الى اصدار البابا حرمان بحقة وما ينجم عنه من تبعات قد تهدد عرشه اذا استمر ذلك الحرمان ما أن تلقى فردريك الثاني طلب النجدة من الملك الكامل فأجابه عل على الفور لكن المفاجأة . ان الملك المعظم عيسى قد توفي بدمشق سنة ٦٢٤ هـ

فما كان من الملك الكامل الا ان يرسل الى فردريك طالباً منه عدم المجيء لكن الاخير اجابه انه في موقف محرج وان موقفه في اوروبا سيكون ضعيفاً ، ولعل تسليم بيت المقدس هو النجاة له فأجابه الملك الكامل فتسلم فردريك مفاتيح بيت المقدس دون جهد يذكر بعد الموافقة على معاهدة يافا لكن استرجع ولد الملك الكامل نجم الدين ايوب بيت المقدس، وكان وفاة الملك

الكامل قد اثارت النزاع مجدداً بين اولاد الملك العادل واخية نجم الدين ايوب انتهى بانتصار نجم الدين والتربع على عرش مصر الا ان عمه الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل أراد التوجه مصر وازاحة ابن اخية نجم الدين ايوب وكان الصالح اسماعيل اسم على غير مسمى.

قد استعاده بالصليبيين ضد ابن اخية مقابل تسليمهم بيت المقدس وهو ما حصل الامر الذي اثار حزن العالم الاسلامي حتى بدأ الخطباء بلعنه من على المنابر وكان في سنة ٦٣٧ هجرية واستطاع الملك لصالح نجم الدين ايوب ان يستعيده سنة ٦٤٢هـ.

كما انتهت الحملة الصليبية الخامسة بالفشل وعقد هدنة بين الطرفين الصليبي والإسلامي ولم تكن هذه آخر حملة وصلت إلى الشرق، فقد وصلت إلى الشرق حملة صليبية أخرى في أواخر عهد الملك الكامل هي الحملة الصليبية السادسة، والتي تميزت بطابع غريب ؛ لأنها كانت حملة ملعونة من البابوية ولم تحظ بعطف البابوية مثل الحملات الصليبية السابقة أو اللاحقة، وتذكر معظم المصادر التاريخية أن الحملة الصليبية السادسة تميزت بسمة خاصة عن الحملات الصليبية التي خرجت من أوروبا، وهي تطفح بروح العداء ضد المسلمين.

لأن إمبراطور الحملة فريدريك الثاني، نشأ في صقلية مركز الحضارة الإسلامية فشب محباً للمسلمين وحضارتهم وأحداث هذه الحملة هي أنه في ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م، ساءت العلاقة بين الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبين اخويه الملك (الكامل)، والملك الأشرف موسى فاستنجد العظم، به جلال الدين خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية يستعين به على أخيه (الكامل)، واتصل (الكامل) بالإمبراطور (فريدريك) ليستعين به ضد أخيه (المعظم عيسى) ووعده أن يتنازل له عن القدس وبعض مدن الساحل فوصل فريدريك الثاني، إلى عكا ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨م ، واتفق وصول الإمبراطور (فريدريك) بعد وفاة الملك المعظم عيسى) الذي توفى ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م ، ولم يعد الملك الكامل» فى حاجة إلى معونة الإمبراطور (فريدريك الثاني)؛ لأن الظروف أصبحت في صالحه، لكن الإمبراطور (فريدريك) كان قد استعطف (الملك

الكامل) في عقد الصلح حتى يعود إلى الغرب الأوروبي مرفوع الرأس ويحقق النصر على البابا والكنيسة التى ناصبته العداء ، وعقدت بينهم (معاهدة يافا) التي كانت من أغرب المعاهدات في تاريخ العصور الوسطى بين المسلمين والمسيحيين.

أهم شروط معاهدة يافا

١) أن يتم تسليم القدس على شرط أن تبقى خرابا ولا يجدد سورها.

٢) أن الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى يكون بأيدي المسلمين، وشعار المسلمين فيه ظاهر، ولا يدخلها الفرنج إلا للزيارة فقط ويتولاه قوام المسلمين "

تم عقد اتفاقية يافا في ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م، وبمقتضى تلك الاتفاقية تقرر الصلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات كان من الطبيعي أن تثير هذه المعاهدة عوامل السخط على كل من الطرفين وخاصة المسلمين، فيذكر (ابن واصل) و(المقريزى): (أنه لما تم تسليم القدس إلى الفرنج وقع في أهل القدس الضجيج والبكاء وعظم ذلك على المسلمين وأنكروا على الملك الكامل) هذا الفعل واستشنعوه منه على حين قال الفرنج إن الإمبراطور فريدريك نزل إلى حد المفاوضة مع المسلمين بدلاً من محاربتهم .

هكذا نجح فريدريك الثاني باتفاقه مع (الملك الكامل) في تحقيق مكسب كبير للفرنج لم تستطع الحملات الصليبية الثالثة والرابعة والخامسة أن تحققه، باسترداد بيت المقدس دون عناء .

وهي كانت الحملة الموجهة إلى بيت المقدس, عجيبة في كل ما يحيط بها من ظروف وملابسات, فقد كانت حملة صغيرة لا يتجاوز عدد رجالها الستمائة فارس فقط, والأعجب أنها جاءت استجابة لرغبة السلطان محمد الكامل الأيوبي نفسه, وباتفاق وتفاهم بينه وبين فريدريك الثاني, إمبراطور المانيا (الإمبراطورية الرومانية المقدسة) ومملكة الصقليتين (صقلية ونابولي) أن هذه الحملة لم تشهد قتالا أو إراقة دماء من الجانبين, ولكنها حققت هدفا صليبيا كبيرا, هو استعادة بيت المقدس تحت السيطرة الصليبية. والطريف أيضا أن قائد الحملة كان تحت عقوبة

الحرمان البابوي, لقد كان مشهدا غريبا أن تأتي حملة صليبية لتحرير بيت المقدس من العرب, وقائدها رجل اشتهر بعداوته للبابوية التي أسبغت عليه أشنع أوصاف الهرطقة, كما دعت إلى شن حملة صليبية للهجوم على إمبراطوريته, فقد كان الإمبراطور فريدريك وأولاده الذين تولوا من بعده, ممقوتين عند البابوية؛ لميلهم إلى المسلمين.

لم يحاول الصليبيون أبدا الاستجابة لسياسة المهادنة التي سار عليها السلطان الكامل الأيوبي, ولم يكن ذلك ممكنا في ضوء فهمهم لحقائق الصراع بين الأديان, والذي لا ينتهي إلا بالقضاء على أحد الطرفين وهكذا فقد تجمعت حشود صليبية جديدة, تريد أن تنتقم للمهانة التي جرت على الصليبيين, في الحملة الخامسة سنة ١٢٢١م/٦١٨هـ. أما الإمبراطور فريدريك الثاني, فقد أبدى استعدادا واضحا للإفادة من هذه الروح السلمية البادية في موقف السلطان محمد الكامل الأيوبي .

لقد حقق الإمبراطور فريدريك الثاني, الذي استحق لقب (أعجوبة الدنيا) عن جدارة, ما لم تستطع الحملات الصليبية الكبرى تحقيقه – منذ انتصار المسلمين في معركة حطين (٥٨٣هـ/١١٨٧م) – ثم عاد إلى أوربا دون خسارة في العتاد أو الرجال. لقد حققت هذه الحملة, رغم طابعها السلمي, من النجاح ما يعادل ما منيت به الحملة الصليبية الخامسة من فشل رغم طابعها العسكري العدواني, إنها حقا أغرب الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي .

توّج فريدريك الثاني نفسه بنفسه في كنيسة القيامة ، فقد رفض رجال الدين تتويج الامبراطور المحروم من الكنيسة ، وفرضت البابوية منعا لممارسة الطقوس الدينية في القدس ، ودفع البابا مواليه إلى ممتلكات فريدريك في ايطاليا ، فاسرع فريدريك إلى المغادرة ونشب صراع مسلح ضد الحبر الاعظم ، والحق الهزيمة بالبابا الغى البابا الحظر عن فريدريك وصادق في السنة التالية على معاهداته مع المسلمين